

فضائل القرآن

كتابة عثمان Bه للمصاحف .

قال البخارى C : .

ثنا موسى بن إسماعيل ثنا إبراهيم ثنا ابن شهاب أن أنس بن مالك حدثه أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان بن عفان رضى الله عنهما وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفرع حذيفة اختلافهم فى القراءة فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان إلى حفصة : أن ارسلنى إلينا بالصحف فننسخها ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد ابن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف .

وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما أنزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق .

بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق .

قال ابن شهاب الزهري : فأخبرنى خاتمة بن زيد بن ثابت سمع زيد بن ثابت فقال : فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصارى { من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه } فالحقناها فى سورتها بالمصحف وهذا أيضا من أكبر مناقب أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه .

فإن الشيخين سبقاه إلى حفظ القرآن أن يذهب منه شيء ؟ وهو جمع الناس على قراءة واحدة لئلا يختلفوا فى القرآن ووافقه على ذلك جميع الصحابة وإنما روى عن عبد الله بن مسعود شيء من التغصب بسبب أنه لم يكن ممن كتب المصاحف وأمر أصحابه بغل مصاحفهم لما أمر عثمان بحرق ما عدا المصحف الإمام ثم رجع ابن مسعود إلى الوفاق حتى قال على بن أبى طالب : لو لم يفعل ذلك عثمان لفعلته أنا فاتفق الأئمة الأربعة أبوبكر وعمر وعثمان وعلى أن ذلك من مصالح الدين وهم الخلفاء الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى] وكان السبب فى هذا حذيفة بن اليمان رضى الله عنه فإنه لما كان غاريا فى فتح أرمينية وأذربيجان وكان قد اجتمع هناك أهل الشام والعراق وجعل حذيفة يسمع منهم قراءات على حروف شتى ورأى منهم اختلافًا وافتراقًا فلما رجع إلى عثمان أعلمه وقال لعثمان : أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى .

وذلك أن اليهود والنصارى مختلفون فيما بأيديهم من الكتب فاليهود بأيديهم نسخة من التوراة والسامرة يخالفونهم فى ألفاظ كثيرة ومعانى أيضا وليس فى توراة السامرة حروف الهمزة ولا حرف الهاء ولا الياء والنصارى أيضا بأيديهم توراة يسمونها العتيقة وهى مخالفة لنسختى اليهود والسامرة .

وأما الأناجيل التى بأيدي النصارى فأربعة : إنجيل مرقس وإنجيل لوقا وإنجيل متى وإنجيل يوحنا وهى مختلفة أيضا اختلافا كثيرا وهذه الأناجيل الأربعة كل منها لطيف الحجم منها ما هو قريب من أربع عشرة ورقة بخط متوسط ومنها ما هو أكثر من ذلك إما بالنصف أو الضعف ومضمونها سيرة عيسى عليه السلام وأيامه وأحكامه وكلامه ومعه شيء قليل مما يدعون أنه كلام الله وهى مع هذا مختلفة كما قلنا وكذلك التوراة مع ما فيها من التحريف والتبديل ثم هما منسوخان بعد ذلك بهذه الشريعة المحمدية المطهرة .

فلما قال حذيفة لعثمان أفرعه وأرسل إلى حفصة أم المؤمنين أن ترسل إليه بالصحف التى عندها مما جمعه الشيخان ليكتب ذلك فى مصحف واحد وينفذه إلى الآفاق ويجمع الناس على القراءة به وترك ما سواه ففعلت حفصة .

وأمر عثمان هؤلاء الأربعة وهم زيد بن ثابت الأنصارى أحد كتاب الوحي لرسول الله ﷺ وعبد الله بن الزبير بن العوام القرشى الأسدى أحد فقهاء الصحابة ونجباءهم علما وعملا وأصلا وفضلا وسعيد بن العاص ابن أمية القرشى الأموى وكان كريما جوادا ممدحا وكان أشبه الناس لهجة برسول الله ﷺ وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشى المخزومى .

فجلس هؤلاء نفر الأربعة يكتبون بالقرآن نسخا وإذا اختلفوا فى موضع الكتابة على أى لغة رجعوا إلى عثمان كما اختلفوا فى التابوت أ يكتبونه بالتاء أو الهاء ؟ فقال زيد بن ثابت : إنما هو التابوت وقال الثلاثة القرشيون : إنما هو التابوت فتراجعوا إلى عثمان فقال : اكتبوه بلغة قريش فإن القرآن نزل بلغتهم وكان عثمان رضى الله عنه - والله أعلم - رتب السور فى المصحف وقدم السبع الطول وثنى بالمئين .

ولهذا روى ابن جرير وأبو داود والترمذى والنسائى من حديث غير واحد من الأئمة الكتاب : عن عوف الأعرابى عن يزيد الفارسى عن ابن عباس قال : قلت لعثمان ابن عفان : ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهى من المئنان وإلى براءة وهى من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر { بسم الله الرحمن الرحيم } ووضعتموها فى السبع الطول ما حملكم على ذلك ؟ فقال عثمان : [كان رسول الله ﷺ مما يأتى عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد فكان إذا نزل عليه شيء دعا بعض من كان يكتب فيقول : ضعوا هؤلاء الآيات فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا] .

وكانت الأنفال من أول ما نزلت بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن وكانت قصتها شبيهة بقصتها وحسبت أنها منها فقبض رسول الله ﷺ ولم يتبين لنا أنها منها فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم فوضعتها في السبع الطول ففهم من هذا الحديث أن ترتيب الآيات في الصور أمر توقيفي متلقين النبي ﷺ .

وأما ترتيب السور فمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ولهذا ليس لأحد أن يقرأ القرآن إلا مرتبا آياته فإن نكسه خطأ كثيرا وأما ترتيب السور فمستحب اقتداء بعثمان رضي الله عنه والأولى إذا قرأ أن يقرأ متواليا كما قرأ عليه السلام في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين وتارة بسج و { هل أتاك حديث الغاشية } فإن فرق جاز كما صح أن رسول الله ﷺ قرأ في العيد بقاف و { اقتربت الساعة } رواه مسلم عن أبي قتادة وفي الصحيحين عن أبي هريرة [أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة { ألم } السجدة و { هل أتى على الإنسان }] وان قدم بعض السور على بعض جاز أيضا فقد روى حذيفة أن رسول الله ﷺ قرأ البقرة ثم النساء ثم آل عمران أخرجه مسلم وقرأ عمر في الفجر بسورة النحل ثم بيوسف . ثم إن عثمان رضي الله عنه رد الصحف إلى حفصة رضي الله عنها فلم تزل عندها حتى أرسل إليها مروان بن الحكم يطلبها فلم تعطه حتى ماتت فأخذها من عبداً بن عمر فحرقها لئلا يكون فيها شيء يخالف المصاحف الأئمة التي نفذها عثمان إلى الآفاق مصحفاً إلى مكة ومصحفاً إلى البصرة وآخر إلى الكوفة وآخر إلى الشام وآخر إلى اليمن وآخر إلى البحرين وترك عند أهل المدينة مصحفاً رواه أبو بكر بن أبي داود عن أبي حاتم السجستاني سمعه يقول وصح القرطبي أنه إنما نفذ إلى الآفاق أربعة مصاحف - وهذا غريب - وأمر بما عدا ذلك من مصاحف الناس أن يحرق لئلا تختلف قراءات الناس في الآفاق وقد وافقه الصحابة في عصره على ذلك ولم ينكره أحد منهم وإنما نقم عليه ذلك الرهط الذين تمالؤا عليه وقتلوه - قاتلهم الله - وذلك في جملة ما أنكروا مما لا أصل له وأما سادات المسلمين من الصحابة ومن نشأ في عصرهم ذلك من التابعين فكلهم وافقوه .

قال أبو داود الطيالسي وابن مهدي وغندر عن شعبة عن علقمة ابن مرثد عن رجل عن سويد بن غفلة : قال على حين حرق عثمان المصاحف : لو لم يصنعه هو لصنعه .

وقال أبو بكر بن أبي داود : ثنا أحمد بن سنان ثنا عبد الرحمن ثنا شعبة عن أبي إسحق عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال : أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك أو قال لم ينكر ذلك منهم أحد وهذا اسناد صحيح وقال أيضا : حدثنا إسحق بن إبراهيم الصواف ثنا بن كثير ثنا ثابت بن عمارة الحنفى قال : سمعت غنيم بن قيس المازنى قال : قرأت القرآن على الحرفين جميعا والله ما يسرنى أن عثمان لم يكتب المصحف وأنه ولد لكل مسلم كلما أصبح غلام فأصبح له مثل ماله قال : قلنا له يا أبا العنبر لم ؟ قال لو لم

يكتب عثمان المصحف لطفق الناس يقرءون الشعر وحدثنا يعقوب بن سفيان حدثنا محمد بن عبد الله - حدثني عمران بن حدير عن أبي مجلز قال : لولا أن عثمان كتب القرآن لألفيت الناس يقرءون الشعر .

وحدثنا أحمد بن سنان سمعت ابن مهدي يقول : خصلتان لعثمان بن عفان ليستا لأبي بكر وللعمر : صبره نفسه حتى قتل مظلوما وجمعه الناس على المصحف وأما عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فقد قال إسرائيل عن أبي إسحاق عن حميد بن مالك قال : لما أمر بالمصاحف - يعنى بتحريقها - ساء ذلك عبد الله بن مسعود وقال : من استطاع منكم أن يغسل مصحفا فليغسل فإنه من غل شيئا جاء بما غل يوم القيامة ثم قال عبد الله له : لقد قرأت القرآن من في رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة وزيد صبي أفأترك ما أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن محمد بن النضر ثنا سعيد بن سليمان ثنا ابن شهاب عن الأعمش عن أبي وائل قال : خطبنا ابن مسعود على المنبر فقال : من يغسل يأت بما غل يوم القيامة غلوا مصاحفكم وكيف تأمروني أن أقرأ على قراءة زيد بن ثابت وقد قرأت القرآن من في رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة وأن زيد بن ثابت ليأتى مع الغلمان له ذؤابتان والله ما نزل من القرآن شيء إلا وأنا أعلم في أي شيء نزل وما أحد أعلم بكتاب الله مني وما أنا بخيركم ولو أعلم مكانا تبلغه الأبل أعلم بكتاب الله مني لأتيته قال أبو وائل : فلما نزل عن المنبر جلست في الخلق فما أحد ينكر ما قال أصل هذا مخرج في الصحيحين وعندهما : ولقد علم أصحاب محمد صلوات الله عليهم وسلم أني من أعلمهم بكتاب الله .

وقول أبي وائل : فما أحد ينكر ما قال يعنى من فضله وحفظه وعلمه والله أعلم وأما أمره بغسل المصاحف وكتماها فقد أنكره عليه غير واحد .

قال الأعمش عن إبراهيم عن علقمة قال : قدمت الشام فلقيت أبا الدرداء فقال : كنا نعد عبد الله جباناً فما باله يواثب الأمراء ؟ وقال أبو بكر بن أبي داود باب رضى عبد الله بن مسعود بجمع عثمان المصاحف بعد ذلك .

حدثنا عبد الله بن سعيد و محمد بن عثمان بن حسان العامري عن فلفلة الجعفى قال : فرعت فيمن فرع إلى عبد الله في المصاحف فدخلنا عليه فقال رجل من القوم : انا لم نأتك زائرين ولكننا جئنا حين راعنا هذا الخبر فقال : إن القرآن أنزل على نبيكم من سبعة أبواب على سبعة أحرف - أو حروف - وإن الكتاب قبلكم كان ينزل - أو نزل - من باب واحد على حرف واحد وهذا الذى استدل به أبو بكر C على رجوع ابن مسعود فيه نظرم من جهة أنه لا تظهر من هذا اللفظ رجوع عما كان يذهب إليه والله أعلم .

وقال أبو بكر أيضا : حدثني عمي ثنا أبو رجاء أنا إسرائيل عن أبي إسحق عن مصعب بن سعد قال : قام عثمان فخطب الناس فقال : أيها الناس عهد نبيكم منذ ثلاث عشرة وأنتم تمترون في

القرآن وتقولون قراءة أبي وقراءة عبداً يقول الرجل : وإي ما يقيم قراءة تك وأعزم على كل رجل منكم ما كان معه من كتاب أو شيء لما جاء به فكان الرجل يجيء بالورقة والأديم فيه القرآن حتى تجمع من ذلك شيء كثير ثم دخل عثمان فدعاهم رجلاً رجلاً فناشدهم : لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نعم فلما فرغ من ذلك عثمان قيل من أكتب الناس قال كاتبا رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد مصاحفاً ففرقها - في الناس فسمعت بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : قد أحسن إسناده صحيح .

وقال أيضاً : ثنا إسحق بن إبراهيم بن زيد ثنا أبو بكر بن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن كثير بن أفلح قال : لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثني عشر رجلاً من قريش والأنصار فيهم أبي بن كعب وزيد بن ثابت قال : فبعثوا إلى الربيعة التي في بيت عمر فجاء بها قال : وكان عثمان يتعاهدهم فكانوا إذا تدارعوا في شيء أخروه قال محمد : فقلت لكثير وكان فيهم فيمن يكتب : هل تدرون لم كانوا يؤخرونه ؟ قال : لا قال محمد : فظننت ظناً كانوا يؤخرونها لينظروا أحدثهم عهداً بالعرضة الأخيرة فيكتبونها على قوله صحيح أيضاً .

قلت : الربيعة هي الكتب المجتمعة وكانت عند حفصة رضي الله عنها فلما جمعها عثمان رضي الله عنه فبالمصحف ردها إليها ولم يحرقها في جملة ما حرقه مما سواها لأنها هي بعينها الذي كتبه وإنما رتبته ثم أنه كان قد عاهدها على أن يردها إليها فمازالت عندها حتى ماتت ثم أخذها مروان بن الحكم فحرقها وتناول في ذلك ما تناول عثمان كما رواه أبو بكر بن أبي داود : حدثنا محمد بن عوف ثنا أبو اليمان ثنا شعيب عن الزهري أخبرني سالم بن عبد الله أن مروان كان يرسل إلى حفصة يسألها عن الصحف التي كتب منها القرآن فتأبى حفصة أن تعطيه إياها قال سالم : فلما توفيت حفصة ورجعنا من دفنها أرسل مروان بالعزيمة إلى عبد الله بن عمر ليرسلن إليه بتلك الصحف فأرسل بها إليه عبد الله بن عمر فأمر بها مروان فشقت وقال مروان : إنما فعلت هذا لأن ما فيها قد كتب وحفظ بالمصحف فخشيت أن طال بالناس زمان أن يرتاب في شأن هذه الصحف مرتاب أو يقول إنه قد كان شيء منها لم يكتب إسناده صحيح .

وأما ما رواه الزهري عن خارجة عن أبيه في شأن آية الأحزاب والحقهم إياها في سورتها فذكره لهذا بعد جمع عثمان فيه نظر وإنما كان حال جمع الصديق الصحف كما جاء مصرحاً به في غير هذه الرواية عن الزهري عن عبيد بن السباق عن زيد بن ثابت والدليل على ذلك أنه قال فالحقناها في سورتها من المصحف وليست هذه الآية ملحقة في الحاشية بالمصاحف العثمانية .

فهذه الأفعال من أكبر القربات التي بادر إليها الأئمة الراشدون : أبو بكر وعمر رضي الله

عنهما حفظا على الناس القرآن وجمعه لئلا يذهب منه شيء و عثمان رضى ا عنه جمع قراءات الناس على مصحف واحد ووضعه على العرصة الأخيرة التى عارض بها جبريل رسول ا فى آخر رمضان من عمره عليه السلام فإنه عارضه به عامئذ مرتين ولهذا قال رسول ا لفاطمة ابنته لما مرض : [وما أرى ذلك إلا لاقتراب أجلى] أخرجاه فى الصحيحين .

وقد روى أن عليا رضى ا عنه أراد أن يجمع القرآن بعد رسول ا A مرتبا حسب نزوله أولا فأول كما رواه ابن أبى داود C حيث قال : ثنا محمد بن اسماعيل الأحمسي ثنا ابن تفضيل عن أشعث عن محمد ابن سيرين قال : لما توفى النبى A أقسم علي أن لا يرتدى برداء إلا لجمعة حتى يجمع القرآن فى مصحف ففعل فأرسل إليه أبو بكر رضى ا عنه أيام أكرهت إمارتى يا أبا الحسن ؟ فقال : لا وا إلا أنى أقسمت أن لا أرتدى برداء إلا لجمعة فبايعه ثم رجع هكذا رواه وفيه انقطاع ثم قال لم يذكر المصحف أحد إلا أشعث وهو لين الحديث وإنما رووا حتى أجمع القرآن يعنى أتم حفظه فإنه يقال للذى يجمع القرآن قد جمع قلت وهذا الذى قاله أبو بكر أظهر وا أعلم فإن عليا لم ينقل عنه مصحف علما قيل ولا غيرذلك ولكن قد توجد مصاحف على الوضع العثماني يقال انها بخط علي رضى ا عنه وفى ذلك نظر فإن فى بعضهم (كتبه علي بن أبى طالب) وهذا لحن من الكلام وعلي رضى ا عنه من أبعد الناس عن ذلك فإنه كما هو المشهور عنه هو أول من وضع علم النحو فيما رواه عنه الأسود ظالم بن عمرو الدؤلى وأنه قسم الكلام إلى اسم وفعل وحرف وذكر أشياء آخر تممها أبو الأسود بعده ثم أخذ الناس عن أبى الاسود فوسعوه ووضحوه وصار علما مستقلا .

وأما المصاحف العثمانية الأئمة فأشهرها اليوم الذى فى الشام بجامع دمشق عند الركن شرقى المقصورة المعمورة بذكر ا وقد كان قديما بمدينة طبرية ثم نقل منها إلى دمشق فى حدود ثمانى عشرة وخمسمائة وقد رأيت كتابا عزيزا جليلا عظيما ضخما بخط حسن مبين قوى بحبر محكم فى رق أظنه من جلود الإبل وا أعلم زاده ا تشريفا وتعظيما وتكريما فأما عثمان رضى ا عنه فيما يعرف أنه كتب بخطه هذه المصاحف وإنما كتبها زيد بن ثابت فى أيامه وغيره فنسبت إلى عثمان لأنها بأمره وإشارته ثم قرئت على الصحابة بين يدي عثمان ثم نفذت إلى الآفاق رضى ا عنه .

وقد قال أبو بكر بن أبى داود : ثنا على بن حرب الطائى ثنا قريش بن أنس ثنا سليمان التيمى عن أبى نضرة عن أبى سعيد مولى بنى أسيد قال : لما دخل المصريون على عثمان ضربه بالسيف على يده فوفعت على { فسيكفيكم ا وهو السميع العليم } فمد يده وقال : وا إنها لأول يدخلن المفصل وقال أيضا : ثنا أبو الطاهر ثنا ابن وهب قال : سألت مالكا عن مصحف عثمان فقال لى : ذهب يحتمل أنه سأله عن المصحف الذى كتبه بيده ويحتمل أن يكون سأله عن المصحف الذى تركه فى المدينة وا أعلم .

قلت : وقد كانت الكتابة فى العرب قليلة جدا وإنما أول ما تعلموا ذلك ما ذكره هشام بن محمد بن السائب الكلبي وغيره أن بشر ابن عبد الملك أبا أكيدر دومة تعلم الخط من الأنبار ثم قدم مكة فتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية أخت أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية فعلمه حرب بن أمية وابنه سفيان وتعلمه عمر بن الخطاب من حرب ابن أمية وتعلمه من عمه سفيان بن حرب وقيل : إن أول من تعلمه من الأنبار قوم من طيء من قرية هناك يقال لها بقة ثم هذبوه ونشروه فى جزيرة العرب فتعلمه الناس ولهذا قال أبو بكر بن أبى داود : ثنا عبد الله بن محمد الزهرى ثنا سفيان عن مجاهد عن الشعبي قال : سألنا المهاجرين : من أين تعلمتم الكتابة ؟ قالوا : من أهل الأنبار قلت : والذى كان يغلب على زمان السلف الكتابة المكتوبة ثم هذبها أبو على بن مقلة الوزير وصار له فى ذلك نهج وأسلوب فى الكتابة ثم قربها على بن هلال البغدادي المعروف بابن البواب وسلكت الناس وراءه وطريقته فى ذلك واضحة جيدة والغرض أن الكتابة لما كانت فى ذلك الزمان لم تحكم جيدا وقع فى كتابة المصاحف اختلاف فى وضع الكلمات من حيث صناعة الكتابة لا من حيث المعنى وصنف الناس فى ذلك واعتنى بذلك الإمام أبو بكر بن أبى داود C فبوبا على ذلك وذكر قطعة صالحة هى من صناعة القرآن ليست مقصدنا ههنا .

ولهذا نص الإمام مالك على أنه لا توضع المصاحف إلا على وضع كتابة الامام ورخص غيره فى ذلك واختلفوا فى الشكل والنقط فمن مرخص ومن مانع .

فأما كتابة السورة وآياتها والتعشير والأجزاء والأحزاب فكثير من مصاحف زماننا والأولى اتباع السلف الصالح ثم قال البخارى